

التناص التأليفي في شعر ابن الحداد الأندلسي
**The Authorial Context in the Poetry of Ibn
al-Haddad al-Andalusi**

أ.م.د. فاطمة علي ولي

Asst.Prof.Dr. Fatima Ali Wali

جامعة سامراء/كلية الآداب

Samarra University/Faculty of Arts

E-mail: Fatima.ali@uosamarra.edu.iq

<https://orcid.org/0009-0009-2311-424X>

الكلمات المفتاحية: التناص، ابن الحداد، المعتصم، الشاعر، المرية.

Keywords: intertextuality, Ibn al-Haddad, al-Mu'tasim, the poet, al-Maria.





الملخص

تأتي هذه الدراسة في إطار الدراسات الأدبية التي تهتم بالنص الأدبي، وتسلط الضوء على العلاقات المتوارثة داخل الترابط الشعري بين رحم الشعر وأهله؛ بما يحقق أعلى درجات التلوين الفني، محاولة رصد التناص وأنواعه داخل النص الشعري لابن الحداد الأندلسي، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يُعنى بتتبع الظاهرة؛ للكشف عن مدى تحقق وسائل الصورة وآلياتها وتوضيح أثرها على موضوع جماليات التناص، وتتجلى أهميتها في التحليل على مستوى الإبداع النصي، ومدى ثراء الشاعر دينياً وفكرياً، وهو ما توصلت إليه الدراسة من ثراء التناص الديني لدى الشاعر، ولأسيما القرآن الكريم، ومن بعده الحديث الشريف، ومن بعدهما التناص الأدبي. وفي شعر ابن الحداد عدد من الشخصيات المستدعاة التي يستحضرها؛ ليوطنها ويوظف صفاتها وقصصها وحكاياتها ومواقفها لخدمة معانيه وأغراضه الشعرية. فالشاعر يعدّ حلقة وصل بين التراث والمتلقي، فابن الحداد كغيره من شعراء عصره استعان بتراثه الغني، ونهل من معينه، فأظهر مقدرة فنية في تداخل النص الشعري وتضمينه الماضي وحاضره بالتلاحم البنوي.

Abstract

This study comes within the framework of literary studies that are concerned with the literary text and sheds light on the inherited relationships within the poetic connection between the womb of poetry and its people. To achieve the highest degree of artistic coloring, an attempt to monitor intertextuality and its types within the poetic text of Ibn Al-Haddad Al-Andalusi relies on the descriptive and analytical approach concerned with tracking the phenomenon. To reveal the extent to which the means and mechanisms of the image are achieved and to clarify their impact on the subject of the aesthetics of intertextuality, and its importance is evident in the analysis at the level of textual creativity and the extent of the poet's religious and intellectual richness, which is what the study concluded regarding the richness of religious intertextuality in the poet, especially the Holy Qur'an, and after it the noble Hadith, And then literary intertextuality. In Ibn al-Haddad's poetry, there are many characters that he invokes. To employ them and employ their characteristics, stories, anecdotes, and situations to serve his meanings and poetic purposes. The poet is considered a link between the heritage and the recipient. Ibn al-Haddad, like other poets of his time, made use of his rich heritage and drew from its source. He demonstrated artistic ability in overlapping the poetic text and including the past and present with structural cohesion.

المقدمة:

تتجه نظرية التناص للقارئ والنص نصًا منفتحًا، وأتته شبكة خلافية ونسيج من الآثار تشير بطريقة لا نهائية إلى شيء ما غير نفسها، ولهذا فإنَّ النص يتخطى أو يجتاح كل الحدود المخصصة له. والتناص وإن كان من المصطلحات النقدية الحديثة، فإننا قد نجد له بعض البذور في نقدنا العربي القديم، فالإقتباس والتضمين والسراقات الأدبية كلها تؤثر إلى وجود نص أو أكثر في النص الحالي، ومن هنا نلمس أنَّ ثمة صلات قوية بين التناص والمصطلحات المجاورة له دلاليًا مثل: الاقتباس والتضمين والسراقات، فكلها تؤكد على إيمانها بقضية انفتاح النصوص، وأنَّ أمر وجود نصٍّ آخر فيها أمر اعتيادي.

ولأهمية التناص وحدائته وصلاته القوية بغيره من المصطلحات المتقاربة معه في نقدنا العربي القديم، فقد نهضت هذه الدراسة للوقوف على مفهوم التناص وماهيته وإبراز مدى التقارب بينه وبين غيره من المصطلحات الأخرى، واعتمدت الدراسة في منهجها على الإفادة من عنصري الوصف والتحليل في تناول التناص.

وتكمن أهمية التناص في أنه يهتم بالشعرية الغربية والسيمايات النصية؛ لما له من فعالية إجرائية في تفكيك النص وتركيبه، ويعدّ كذلك من أهم المفاتيح الإجرائية لفهم الأدب، وهو أداة أدبية لمقاربة النص الأدبي واستنطاقه ومعرفة بنيته العميقة، والدخول إلى أغواره، ودلالاته وتفاعلاته الخارجية والداخلية؛ لأنَّ النص مهما كان فهو شبكة من التفاعلات الذهنية، ونسق من المظاهر المضمرة والظاهرة التي تتوارى خلف السطور، ولا بدَّ له من قواعد ترسيه في عقل المتلقي.

أسباب البحث:

اختر هذا الشاعر؛ لأنه يعدّ من أبرز الشعراء الأندلسيين الذين وظّفوا التناص في شعرهم. وقد جاءت هذه الدراسة في جانبين، الجانب الأول النظري، الذي يهتم بمفهوم التناص، وآلياته، والجانب التطبيقي، الذي اهتم بالتناص في النصوص الشعرية عند ابن الحداد.

أهداف البحث:

الوقوف على أهم مظاهر التناص في الشعر الأندلسي بوساطة ابن الحداد.

ما أهم حضور أنواع التناص عند ابن الحداد؟

هل توغل ابن الحداد مع الدين في تناصه؟ وما دلالة ذلك؟

التعرف على تناص ابن الحداد بوساطة شعره، وبيان التناص لغةً واصطلاحًا، ودراسة نصوص التناص في شعر ابن الحداد.



منهج الدراسة:

المنهج التحليلي الوصفي الذي يبين مواضع التناص الديني والأدبي بعرض النصوص الشعرية المتعلقة بها، وتحليلها، وإظهار التناص بها.

التمهيد:

التناص لغةً: يرجع التناص إلى أصل مادة نصص وإذا تتبعنا معناه في المعاجم العربية التراثية نجده يدل على الإظهار، "نصت الحديث أنصه نصًا إذا أظهرته، ونصت الحديث إذا عزوته إلى محدثك به" (ابن دريد، د.ت، ص ١٠٣)، ويرد في لسان العرب بمعنى الاتصال يقال: "هذه الفلاة تناصي أرض كذا أو تناصيها وتتصل بها" (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، مادة نصص).
والتناص لفظ يعود إلى جذره اللغوي (نصص) وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أن النص: بمعنى الرفع. والنص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها،... والنص، الإسناد إلى الرئيس الأكبر "والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما" (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، مادة نصص)، أما في المعاجم العربية الحديثة فورد بمعنى الازدحام، إذ جاء في المعجم الوسيط "تناص القوم ازدحموا" (إبراهيم، د.ت، مادة نصص)، وهو معنى يقترب في مفهومه من التناص؛ لأنَّ التناص يتداخل في النصوص بعضها ببعض، فيتشابه القديم مع الجديد، ويتحول من قديم إلى جديد، أو تكون له رؤية جديدة في كل نص، ربما بالمعنى نفسه، أو بتغييره.

التناص اصطلاحًا: تعددت تعريفات التناص في الكتب النقدية الجديدة؛ كونه وسيلة ثرية للنص، تفتح على نصوص كثيرة، باستيعابها، والربط بينهما، فهو نص يتسرب إلى نص آخر، تعرفه بحسب مدلولات الكاتب، وماهية ربطه بينه وبين النص الجسد، وهدف كاتبه من ذلك الربط" (الغذامي، ١٣٩١ هـ، ص ٣٢٠).

إنَّ النص كيان منتهٍ، في الزمان والمكان، أي: تزامني، ومغلق وثابت، "فإنَّ النص على وفق التناص تعاقبي، متحرك، مفتوح، متغير، متجدد" (الماضي، ١٩٩٣ م، ص ٩٩)، فانفتاح النص وتحركه في كل الاتجاهات هو الركيزة الأساسية التي يركز عليها التناص. وبهذه المفاهيم الجديدة تمكن التناص من تقويض البنيوية وزعزعتها عندما لجأ "إلى تحطيم فكرة المركز والنظام والبنية والشكل والمضمون والوحدة والموضوعية المتوهمة، فبدأ النص بضم أبنية متنوعة، تتوالد داخل النص الجديد بمعانٍ جديدة" (الماضي، ١٩٩٣ م، ص ٩٩).

ثانياً: التعريف بالشاعر:

ابن الحداد الأندلسي أحد أعلام الحضارة الأندلسية، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الحداد القيسي الوادي اشبي الأندلسي (الحميدي، ١٩٦٦م، ص ٣٩٧) ولقبه مازن (الصفدي، ١٩٦١م، ٨٦/٢)، وقد حفل عالمه الأدبي باستعمالات كثيرة تدل على إلمامه بآثار العلوم والمعارف إذ كان مشاركاً في الفلسفة والرياضيات والفلك والفقهاء (يعقوب، ٢٠٠٦م، ٩٥/٩)، وقد وصفه ابن بسام في الذخيرة فقال: " وكان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة وبحر خبر وسيرة، وديوان تعاليم مشهورة، وضح في طريق المعارف. . . " (الشنتريني، ١٩٧١م، ص ٢٧١)، وقال فيه العماد الأصفهاني: " هو أديب فاضل " (الأصفهاني، د.ت، ٢٧١/٢)، وله في العروض تصنيف مشهور مزج فيه الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية وديوان مرتب على حروف المعجم، توفي سنة ٤٠٨ هـ (الصفدي، ١٩٦١م، ٢٨٣/٢).

وقد أحب ابن الحداد صبية إسبانية نصرانية، وهو أمر أكده غالب أصحاب المصادر التي ترجمت له، ومنهم ابن بسام، وقد قال في ذلك: " وكان أبو عبد الله قد مني في صباه بصبية نصرانية ذهبت بلبه كل مذهب، وركب إليها أصعب مركب فصرف نحوها وجه رضاه وحكمها في عقله وهواه، وكان يسميها نويرة كما فعله الشعراء الظرفاء قديماً في الكناية عمّن أحبوه وتغيّر اسم من علقوه " (أبو حسن، ٢٠٠٥م، ص ٩٥)، ولم يقتصر في غزله في نويرة على اسم نويرة، وإنما شمل أسماء أخرى مثل: لبيني، وسليمي، ومهدد (عباس، ١٩٧٨م، ص ١٦١). ولقد استدعى الشاعر شخصيات بعض الأنبياء مثل: داود وسليمان ونوح وعيسى ويوسف -عليهم السلام- واستدعى أيضاً شخصيات صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عمر وأبا بكر وعلي بن أبي طالب -رضوان الله عليهم جميعاً-، مع اختلاف في الرؤية والغاية من الاستدعاء كذلك استدعى شخصيات أجواد العرب المعروفين، وكذلك بعض ملوك العرب والفرس والروم، وشخصيات أخرى، فلاسفة وحكماء وعلماء وغيرهم.

المبحث الأول: التناص الديني عند ابن الحداد:

يستمد الشاعر معانيه من البيئة حوله، ومن موروثه الديني والثقافي والأدبي، ويعمد الشعراء إلى الاقتباس من القرآن الكريم؛ لأنه تشريف لهم، لتوصيل دلالاتهم للقارئ وتكثيفها بانتقائهم للآيات التي تتناسب وطبيعة القصيدة المتوافقة والجو النفسي للشاعر، " واللجوء إلى القرآن أو الكتب السماوية الأخرى، يفجر لدى الشاعر طاقات دلالية وإبداعية جديدة، الأمر الذي يعزز لديهم بناء الرؤى الشعرية، فالتفاعل مع هذه الكتب المقدسة باقتباس نصوصها يمنح الشاعر بناء نصه الجديد، وهذا النوع من التناص ليس مجرد اقتباس للنص القرآني أو لتزيين



القصيد به، فهدف الشاعر هنا هو استيعاب النص والإفادة منه" (حافظ، ١٩٨٦م، ص ٩٣) قال
ابن الحداد:

لَعَلَّكَ بِالْوَادِي الْمَقْدَسِ شَاطِئٌ... فَكَا لِعَنْبَرٍ مَا أَنَا وَاطِئٌ
وَإِنِّي فِي رِيَاكَ وَاجِدٌ... فَرُوحُ الْهَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ نَاشِئٌ
هُوَ الْحُبُّ لَمْ أُخْرِجْهُ إِلَّا لِمَجْدِهِ... وَمِثْلِي لِأَعْلَاقِ النَّفَاسَةِ خَاطِئٌ
كَأَنَّ عِلَاةَ دَوْلَةٍ أُمُويَّةٌ... وَمَا نَابَ مِنْ خَطْبِ عُمَيْرٍ وَضَابِي

وَإِنْ يَمَسُّ الْعَاصِينَ قَرْحُكَ أَنْفًا... فَأَيُّدِي الْوَعَى عَمَّا قَلِيلٌ تَوَالِي (ابن الحداد، د.ت،
ص ١٥٠، ١٤٠).

افتتح ابن الحداد قصيدته في اقتباس من القرآن الكريم، من قوله تعالى: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} (سورة طه: الآية ١٢)، وهنا قصد المريّة، المكان الذي
كان الشاعر قد تربى فيه، والذي عرف بجماله وطبيعته الخلابة وأنهاره وبساتينه الغناء، فجعل
منه كالمكان الطاهر المقدس المبارك. وانتقل ابن الحداد بعد ذلك إلى ممدوحه ليشبّه قوته
وعظمته بقوة وعظمة الدولة الأموية من جهة، وما أصاب عمير وضابي من شدائد من جهة
أخرى. وعمير: هو ابن ضابي بن الحارث بن أرطاة التميمي، كان شاعرًا كثير الشر، خبيث
اللسان، عرف في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وكان عثمان بن عفان قد سجنه؛ لقتله صبيًا، وخرج
بعد ذلك، ثم أعيد، وحاول قتل عثمان بن عفان وهو مسجون، وبقي في السجن حتى مات
(الدمشقي، ٢٠٠٢م، ٣/٢١٢).

أفاض ابن الحداد في وصف الأجواء النصرانية، وذكر بعض ما يتعلق بأعيادها
وعاداتها، وليس غريبًا ما دام يتودّد لنويرة النصرانية، ومما قاله:

وَعَرَجًا يَا فَتِي عَامِي *** بِالْفَتَيَاتِ الْعَيْسَوِيَّاتِ

فَإِنَّ بِي لِلرُّومِ رُومِيَّةٌ *** تَكْنُسُ مَا بَيْنَ الْكَنِيسَاتِ

أَهْنِمُ فِيهَا، وَالْهَوَى ضِلَّةٌ *** بَيْنَ صَوَامِعِ وَيَبَعَاتِ.

أَفْصَحُ وَحَدِي يَوْمَ فَضَحَ لَهُمْ *** بَيْنَ الْأَرِيطَى وَالذُّوَيْحَاتِ

بِمَوْقِفِ بَيْنَ يَدِي أَسْقِفِ *** مُمْسِكُ مِصْبَاحِ وَمَنْسَاةِ

وَكُلُّ قَسٍّ مُظْهِرٍ لِلتَّقَى *** بِأَيِّ إِنْصَاتِ وَإِخْبَاتِ

نسب ابن الحداد في البيت الأول (نويرة) إلى عيسى الله، ولعلّه فضّل هذه النسبة على قوله نصرانيات؛ لأنّ لعيسى بالذات مكانة خاصة عند النصارى، فهو إلههم الذي لا ينبغي أن يؤمنوا بغيره، وهو الذي أنقذهم بدمه من الهلاك، ثم تحدّث في البيت الثاني عن تقلبه بين البيع والصوامع، في إشارة إلى أماكن تعبد (نويرة) ومنّ يدين بدينها؛ لعله يلتقي بها يوماً تؤدي صلاتها، بل ذهب إلى أبعد من هذا فوصف كيف أنّه يحتفل لوحده لأنّها تحتفل مع ذويها بعيد الفصح تودّداً إليها، ويبدو أنّ احتفال الشاعر بعيد النصارى ليس مردّه فقط حبّه لنويرة.

وقد تردّد اسمها كثيراً في شعره مرة في مقطوعات غزلية، ومرة نراها في مقدمات قصائد المدح عنده، ومرات عديدة يطلق عليها اسماء المحبوبات في الشعر العربي، لبنى وعزة ولىلى والمقصود في كل اسم هنا هو نويرة النصرانية، يشكو الشاعر إعراضها، وعبثها به، وهو المحب العاشق الذي لا يستطيع أن يعيش بدونها، وفي قوله (ابن الحداد، د.ت، ص ١٧١):

وَلَا بَدَّ مِنْ قَصِي عَلَى الْقَسِّ قِصَّتِي... عَسَى

فَلَمْ يَأْتِهِمْ عَيْسَى بَدِينٍ.... فَفَيْقُسُو عَلَى مُضَى وَيَلْهُو بِمُكْرَتِ

إنّ استدعاء عيسى -عليه السلام- هنا مرتبط بديانة معشوقته نويرة، الديانة النصرانية، واستعان لتحقيق غايته والبحث عن حلّ لما هو فيه، بما جاء به الإنجيل وهي أكثر معرفة به منه، وكذلك المساوسة ورجال الكنيسة، في محاولة يائسة لتفسير هذه القسوة، لكنه يفشل فبقي أسير التفسير والعذاب والألم والحسرة. لقد استدعى ابن الحداد عيسى -عليه السلام- في شعره، وذلك في قصيدة غزلية ومقطوعة قصيرة غزلية أيضاً، ففي قصيدة غزلية يتحدث الشاعر فيها عن محبوبته التي أطلق عليها اسم (نويرة) وأخفى اسمها الحقيقي على عادة الشعراء العرب في إخفاء اسماء محبوباتهم، ونويرة هذه فتاة نصرانية من مستعربي المرية، راهبة من راهبات إحدى الكنائس في المرية (أبو حسين، ٢٠٠٥م، ص ٩٧)، فأعجب بجمالها فأحبها وتعلق بها.

ويستمر الشاعر في استدعاء شخصية المسيح -عليه السلام- في بيت آخر من مقطوعة شعرية أخرى، يخاطب بها نويرة، ويطلب منها بحق المسيح أن تريحه، مما يعانيه من قسوة وبعد وهجر، قال (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٤١):

عَسَاكَ بِحَقِّ عَيْسَاكَ... مُرِيحَهُ قَلْتِي الشَّاكِي

فَإِنَّ لِحُسْنٍ... كِ إِحْيَائِي وَإِهْلَاكِي

وَأَوْلَعْنِي... وَرُهْبَانِ

وَلَمْ آتِ الْكَنَائِسَ عَنْ... هَوَى

فهو يستدعي عيسى -عليه السلام- ويخاطبها بالقسم (بحق عيساك)، لأنّها مسيحية تحب نبيها ولم يجد شخصية قوية أخرى مؤثرة غيرها، لتكون قريبة منه وتريح قلبه، وكل إنسان



يحب نبيه ويحب دينه وحين يصل المتكلم إلى القسم - كما نرى - يظهر الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، ومدى الألم الذي تسببه له. ولهذا نجده يفسر لنا سر مجيئه إلى الكنيسة، وهو مسلم لا يجوز له ذلك، لكنه حين يأتي، لا يأت حبا في الديانة النصرانية، ولا في كنائسها ولا رجالها، لكنه يأتي لها بعد أن أذله الهوى.

ويوظف الشاعر سيدنا نوح في ثلاثة أبيات هجاء في المعتصم بن صمادح، الذي كان ممدوحه بالأمس في عدة قصائد، إذ يتحول الزمن وتتغير الأحوال، ويترك ابن الحداد مدينة المرية، وينصح الشعراء أن يبتعدوا عنه، يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ١٨٤):

يَا طَالِبَ الْمَعْرُوفِ دُونِكَ فَأَثَرُ كُنْ... دَارَ الْمَرِيَّةِ وَارْفُضِ ابْنَ صَمَادِحِ
رَجُلًا إِذَا أَعْطَاكَ حَبَّةً... أَلْقَاكَ فِي فَيْدِ

لَوْ قَدْ مَضَى لَكَ عُمُرُ نُوحٍ... لَا فَرْقَ بَيْنَكَ عِنْدَهُ

يرى أن المعتصم لا يهتم بمن مدحه ورافقه ومجد انتصاراته وحروبه ووقف معه مدافعا، حتى لو كان هذا الشاعر من أهل المرية عاصمة ملكه، يستعين بنوح - عليه السلام - وتحديداً عمره الطويل ٩٥٠ سنة للدلالة على طول الزمن دون فائدة، والدليل أنه بعد كل خدمته للمعتصم، قرر مغادرة المرية، وقرب المعتصم الشعراء الطارئين من كل مكان فهو غير مأمون الجانب. قال:

وَكَأَنَّ مُبْيَضَ الْخُدُودِ وَضَاءَةً... صَحْنٌ لَهُ، لَا الْمَرْمَرِ الْمَسْئُولِ

تَغْشَى بِمُذْهَبٍ لَمَعِهِ فَكَأَنَّمَا... أَبْدَى لَدَيْهِ كُنُوزَهُ قَارُونَ

هُوَ نَالِثُ الْقَمَرَيْنِ فِي ضَوْءِ يَهُمَا... فِيهِ تُضِيءُ لَنَا اللَّيَالِي الْجُونَ

لَوْ أَبْصَرْتَهُ الْفَرَسُ قَدَسَ... كِسْرَى وَأُخْبِنَ نَارَهَا شِيرِينَ

أَوْ لَوْ بَدَا لِلرُّومِ مُعْجَزٌ... أَبْدَى السُّجُودَ إِلَيْهِ قِسْطَنْطِينِ (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٧٣-٢٧٤):

إن قصر المعتصم ابن الصمادح قد صرف عليه مبالغ كبيرة، بقدر كنوز قارون والذي كان يعد من كبار الأثرياء في زمن النبي موسى - عليه السلام -، قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ، وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْتُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}، وأيضا قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (سورة القصص، الايتان: ٧٦، ٧٩). وينتقل بعدها إلى الروم وملكهم قسطنطين، الذي بنى مدينة القسطنطينية، فيقول إنه حتى ملك الروم يعجز أن يبني مثل قصر المعتصم.

قال في وصف إشراق وجه المعتصم بن صمادح (ابن الحداد، د.ت، ص ١١٢):

وَفِي سَاهٍ.... لِلشُّهُبِ وَالسُّحْبِ مُسْتَحْيَا وَمُنْضَاً

جَلَالَةُ سُلَيْمَانَ وَمُلْتَمَحٌ... لِيُوسُفَ يَوْمَ لِلنِّسْوَانِ مَتَكًا

اتكأ على جمال سيدنا يوسف -عليه السلام- ، الذي لفت انتباه زوج العزيز وذلك لوصف جمال الهيئة والخلقة لممدوحه المعتصم، ولهذا لجأ إليها لتقريب الصفة التي أراد إظهارها، مشيراً إلى قصة يوسف مع زوج العزيز ملك مصر، التي ورد ذكرها في سورة يوسف مع النسوة اللواتي أُنمها على ما فعلت بيوسف، وطلبت منهن الحضور وجلسن عندها وأعطت لكل واحدة منهن سكيناً، كما ورد في الآيات، ولما دخل عليهن يوسف، ورأين جماله قطعن أيديهن، قال تعالى: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} (سورة يوسف، الايتان: ٣٠، ٣١).

يستدعي الشاعر سيدنا سليمان - عليه السلام- في قصة أخرى، وغرض آخر، وهو الغزل والتغني بمحبوبته نويرة، التي لا يستطيع الوصول إليها، وقد حيل بينه وبينها (ابن الحداد، د.ت، ص ١٠٩):

كَأَنَّ قَلْبِي سُلَيْمَانَ وَهَذِهِ... لَحْظِي وَبَلْقَيْسَ بُنَى وَالهُوَى النَّبَأُ

استدعي سليمان في قصة ليست للغزل والحب والعشق والآمه، وقصته مع الهدهد، ليحل الشاعر مكان سليمان -عليه السلام- في قصة عشق هنا، سليمان غاب عنه الهدهد، كما ورد في سورة النمل، قال تعالى: {وَتَقَفَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ}، وقصته معروفة، وسليمان يسأل ما لي لا أرى الهدهد؟ أما الشاعر فيتحدث عن نويرة المحبوبة الغائبة، كلاهما قد غابا من دون إذنٍ منهما غاب الهدهد عن سليمان، وسليمان لا يعلم، لكنه عاد بخبر، يحتاج إلى قرار من سليمان -عليه السلام- : {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} فكما أن سليمان تفقد الهدهد وتوعده بالعقاب ولكنّه عفا عنه بعد أن جاءه بالنبأ المعروف قصته، كذلك قلب الشاعر تفقد محبوبته فلم يجدها، غير أنه عكس الآية؛ فنويرة هي التي تصده وتعاقبه بالهجران، وهو ينتظر النبأ المعجزة الذي يخلصه من العذاب . وما من شك في أن هذه الإسقاطات والتشبيهات تجعل القارئ يتعاطف مع الشاعر. وواضح هنا براعة الشاعر في توظيف هذه الشخصيات وقصصها، واستدعائها الخدمة غرضه وهدفه وهو يتحدث



عن نفسه في مقدمة غزلية في مدح المعتصم، موظفًا شخصية سليمان في غرضين غرض المدح وغرض الغزل، والحالة النفسية التي يعيشها. قال ابن الحداد:

بِلَادُ غَدَتْ يَأْجُوجُ فِيهَا فَأَفْسَدَتْ... فَكُنْتُ كَذِي الْقَرْنَيْنِ وَالْجَحْفَلِ السَّدِّ

وَمَا زَالَ شَرْقِي الْمَرِيَّةِ عَاطِلًا... إِلَى أَنْ عَلَاهَا مِنْ رُؤُوسِهِمْ عَقْدُ (ابن الحداد، د.ت، ص ١٨٦):

قصة يأجوج ومأجوج، وكيف عاثوا الفساد في الأرض، ويشبه ما وقع في وادي آش - بلدة ابن الحداد - بهذه الأحداث التي هي الأخرى كان لها نصيب من الفساد، لكن المعتصم وجيشه كانوا لهم بالمرصاد، وشكّلوا ذلك السد المنيع. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَدَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (سورة الكهف، الآية: ٩٤). فذو القرنين هو الملك العادل الذي بنى السد على يأجوج ومأجوج؛ لإيقاف أذاهم وكفهم عن الناس، فشبهه ابن الحداد الأندلسي المعتصم بهذا الملك، وهذه إحدى القصص العظام التي ذكرت في القرآن الكريم، وكانت مصدر استلهام للكثير من الشعراء حتى العصر الحديث، إذ طلب منه أن يقضي على قبيلتي يأجوج ومأجوج، على أن يدفعوا له أموالًا مقابل ذلك، بعد أن عاثوا في البلاد فسادًا وتخريبًا وظلمًا، فقبل أن يقوم بذلك فكفاهم شرهم، والشاعر هنا يستحضر هذه الشخصية في حدث وقع في مملكته وهي أحداث أهل وادي آش^(١) وما قاموا به من فساد ونهب وسلب وفوضى، فكان المعتصم بجيشه القوي سدًا في وجه هؤلاء، كما كان ذو القرنين سدًا منيعًا في وجه يأجوج ومأجوج. وهنا أكد الشاعر مدى الأثر السيء الذي قام به متمرديو وادي آش. وفي قوله:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَيْسَ يُدْرِكُ كُنْهَهَا... فَنَوَافِدِ الْأَفْهَامِ قَدْ وَقَفَتْ هُنَا

فِي كُلِّ شَيْءٍ لِلْأَنَامِ مُحَدَّرٌ... مَا كَانَ حَذْرُهُ شُعَيْبٌ مَدِينًا (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٨٠):

وظّف الشاعر قصة النبي شعيب - عليه السلام -، وكيف كان يحذر قومه مدين من غضب الله وعذابه، فقصة قوم مدين قد وردت عدة مرات في القرآن الكريم مثل: قوله تعالى: ﴿رُوِيَ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٣٦)، وأيضًا: ﴿رُوِيَ مَدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ: إِنَّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (سورة

(١) حادثة وادي آش أو ثورة ابن شبيب صاحب لورقة ثار على المعتصم سنة ٤٤٣ هـ، وقد استعان ابن شبيب بعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية، ولى دعوته، وزحف المعتصم بجيشه، إلى لورقة وأمدّه باديس صاحب غرناطة بقوات من جيشه، وقامت معارك بينهما انتهت بهزيمة ابن شبيب واستيلاء المعتصم على حصون لورقة، وعادت إلى مملكة المرية (عنان: دولة الحداد في الأندلس (عصر الطوائف)، ج ٣، ص ١٦٦-١٦٧)

هود، الآية: ٨٤)، فقوم شعيب كانوا لا يوفون المكيال، فأرسل الله عليهم العذاب، {فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} (سورة الأعراف، الآية: ٧٨).

وفي قوله (ابن الحداد، د.ت، ص ١٩٩):

وَيَا لَكَ مِنْ نَهْرٍ صَوُّوْلٍ مَحْلَلٍ... كَأَنَّ الثَّرَى مُزْنٌ بِهِ دَائِمُ الرَّغْدِ
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ نَضْفُلٌ مَتْنُهُ... وَتَصْنَعُ فِيهِ صُنْعَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ
كَأَنَّ يَدَ الْمَلِكِ ابْنِ مَعْنٍ مُحَمَّدٍ... تُفَجِّرُهُ مِنْ مَبْنَعِ الْجُودِ وَالرِّفْدِ

وظّف الشاعر الدرعين اللذين صنعهما داود -عليه السلام- مبيّنًا ما قام به النسيم، وهو يلامس صفحة ماء النهر حين يفيض ماؤه فيغرق ما هو موجود على شاطئيه، وحين تلامس الريح صفحة ماء النهر، تصنع أمواجًا، فلا يعود سطح ماء النهر مستويًا، فتظهر مياه النهر متموجة، كما هي في زرود الدرع. والاستدعاء هنا ليس فقط لداود -عليه السلام- بل للدرع الذي صنعه والذي وظّفه هنا لوصف منظر طبيعي، النسيم العليل حين يلامس ماء النهر، فيصنع فيه تموجًا، فيستدعي الشاعر داود -عليه السلام- ودرعه المزرد المعروف بحلقاته.

المبحث الثاني: التناص التاريخي:

يتعامل الشاعر مع الموروث ليكشف عن المكونات والدوافع النفسية والفنية لهذا التراث. فالتراث يمثل كل ما هو مشرق إيجابي من موارث الإنسانية جمعاء " ، فهو ما ورثناه أو أورثتنا إياه الأمة العربية في مختلف انجازاتها وخبراتها الأدبية والعلمية والفنية منذ أصل عصورها الموعلة في التاريخ حتى تقدّمها الحضاري الذي وصلت به القمة (الكبيسي، ١٩٧٨م، ص ٦)، وللظروف التي يمر بها المجتمع دور مساهم في استرفاد الشاعر للحدث التاريخي أو الشخصية التاريخية، لسببٍ أو لآخر، وعلى وفق هذا سنوغل في دراسة: الشخصيات التاريخية، ثم نتبعها بالأماكن التاريخية وأخيرًا الأحداث التاريخية، التي وظّفها ابن الحداد الأندلسي في ديوانه.

وقد وظف العديد من الشخصيات التاريخية الذائعة الصيت، والمغمور منها أحيانًا، ممّا يدلّ على ثقافة شاعرنا وتوسّعه في معرفة الأنساب ورفد المتلقي بالوجه المضيء للتاريخ، ليوضح بذلك الصلة العميقة والارتباط الوثيق بماضيهم وحاضرهم، ويتمكن من نقل التجربة الشعرية والشعورية في آنٍ واحد. وفي قوله (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٩٢):

وَبَدَتْ إِلَيْنَا مِنْهُ صُورَةٌ سَيِّرَةٌ... تُنْبِئُكَ عَمَّا سَنَّهُ الْعُمَرَانُ

استعاد الشاعر التاريخ الإسلامي هنا، وأعظم حقبة حكم فيه، بعد وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وهي حقبة حكم الخليفين الراشدين أبي بكر وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-، إذ اختصر الحديث عن العدل الذي انمازت به مملكة المرية في عهد المعتصم، فوقف



ابن الحداد عند الصفات السياسية للمعتصم في إدارة شؤون الدولة والحفاظ على الرعية، وحفظهم من الظلم والمساواة بينهم، فلا فرق بين غني وفقير، وسيد ومسود. واستدعى شخصية الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قصيدة مدح في المعتصم، والخوارج (الشراة) ^(٢)، (ابن الحداد، د.ت، ص ١٦٦):

وَكَمْ قَدْ رَأَتْ رَأْيِي الْخَوَارِجِ فِرْقَةً... فَكُنْتُ عَلِيًّا فِي حُرُوبِ شَرَاتِهَا

وظّف شخصية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والخوارج الشراة، الذين خرجوا عليه؛ لخدمة المعاني التي يريدونها في وصفه لشخص المعتصم وقوته في مواجهة أعدائه من ملوك الطوائف الذين حاربوه، فجعلهم كالخوارج وهو كعلي، وكأنّ الشاعر يرى أنّ الشرعية في الحكم للمعتصم، ولا شرعية لأيّ ملكٍ آخر من ملوك الطوائف.

واستدعى ابن الحداد ساسان ^(٣) جد الأسرة الساسانية، وأحد أفراد الأسرة الحاكمة التي أسست دولتهم، في قصيدة مدح فيها المعتصم حين يتحدث عن حكمته، وحسن إدارة الحكم في الدولة، وكيف وصل إلى قلوب الناس في مدينة المرية، فقال (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٩١):

أَعْطَتْهُ أَهْوَاءُ الْقُلُوبِ سِيَّاسَةً... حَفِيَتْ لَطَائِفُهَا عَلَى سَاسَانَ

وبين باستحضار ملك الساسانيين ومؤسس دولتهم أنّ أمور السياسة وحسن التدبير قد غابت عنهم لكنها الحاضرة في عقل المعتصم، ولهذا استطاع أن يصرف أمور الحكم وشؤون الرعية بحكمة واقتدار. ووقف الشاعر عند ملك عربي وهو ملك من اليمن سيف بن ذي يزن، وهو يصف قصر المعتصم، الذي بهر منظره وجماله، فبدأ بوصفه الذي لا يشابهه قصر آخر، حتى ملوك اليمن بحضارتهم المعروفة المشهورة ببناء القصور، لم يستطيعوا بناء قصر كقصر المعتصم، فتحدث عن معد يكرب بن سيف بن ذي يزن صاحب قصر عُمدان ^(٤) وفي قوله (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٧٤):

أَوْ لَوْ بَدَأَ لِلرُّومِ مَعْجَزَ صُنْعِهِ... أَبْدَى السُّجُودَ إِلَيْهِ قُسْطَنْطِينُ

(٢) الخوارج أولى الفرق الإسلامية، خرجوا على علي بن أبي طالب وصحبه رافضين التحكيم، ونادوا "لا حكم إلا لله"، انقسموا فيما بعد إلى عدة فرق أهمها: الأزارقة والإباضية والصفارية. انظر: (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٠٥٨).

(٣) ساسان: هو ساسان بن بجمن جد أسرة الساسانيين وأحد أسلاف أردشير مؤسس الأسرة الذين أقاموا دولتهم في القرن الثالث للميلاد في إيران، ودامت دولتهم حتى عصر كسرى الذي سقطت دولته على يد المسلمين في معركة القادسية سنة ٦٣٦م، (الموسوعة العربية الميسرة ١٢٨٨/٣).

(٤) قصر عمدان قصر شيد قبل الإسلام، بصنعاء في اليمن كان يتكون من عشرين طابقاً، (الموسوعة العربية الميسرة، ١٦٩٦/٣).

استحضر الشاعر كسرى ملك الفرس لإكمال الصورة التي رسمها للقصر وعظمة بنائه، وموقفه حين يراه لو عاد به الزمن، وردة فعله أيضًا، إذ عُرف عن ملوك الفرس اهتمامهم ببناء القصور وهندستها، وعجزت كتب التاريخ عن وصفها، والحديث عن هندستها، لكن أين قصورهم التي قرأنا أوصافها في كتب التاريخ إذا ما قورنت بقصر المعتصم في المرية؟ وماذا يمكن أن يقول كسرى لو عاد إلى الحياة مرة أخرى، وقد بنى قصر شيرين المشهور، الذي سماه باسم زوجته شيرين؟، قال (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٧٣):

لَوْ أَبْصَرْتُهُ الْفَرَسُ قَدَّسَ نُورَهُ... كِسْرَى وَأَحْبَبَتْ نَارَهَا شِيرِينَ

إذن هو قصر لا يشبهه قصر من قصور دولتين عظيمتين عبر التاريخ الفرس والروم، وحين يستدعي الشاعر أصحاب القصور هنا، يرسل رسالة للجميع، يبين فيها مدى التقدم والرقي، الذي وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، والأزدهار الذي عرفته مدينة المرية في عهد المعتصم، وقصورها أنموذج له، وكأنه يقول للعجم: أنتم لم تصلوا إلى ما وصلنا إليه. وهنا تكمن قيمة استحضار هؤلاء الملوك الذين عاشوا عبر القرون.

وذكر الملوك والفلاسفة، ومنهم النعمان بن امرئ القيس^(٥) ملك الحيرة، وشخصية سنمار الرومي^(٦)، الذي بنى قصر الخورنق (الموسوعة العربية الميسرة، ١٠٥٩/٢) الذي ضُربَ المثل بجماله وإحكام صنعه، وتغنّى بجماله هذا شعراء العرب، قال ابن الحداد (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٧٥):

وَكَأَنَّ بَانَةَ سِنْمَارٍ فَمَا... يَعْذُوهُ تَحْسِينٌ وَلَا تَحْصِينَ

فقد ظهر هذا القصر مكتمل الصنعة مكتمل الجمال والهندسة والقوة والتحصين، وعندما اكتمل بناء القصر، تعجب الناس من جماله وبراعة بنائه، وخوفًا من أن يقوم سنمار ببناء قصر مشابه له لغير النعمان، ألقى به من أعلى القصر فمات، وقد ضرب به المثل في قلة الوفاء فقالوا: (جزاء سنمار) وقصته معروفة (الميداني، د.ت، ١٥٩/١). قال (ابن الحداد، د.ت، ص ١٠٩):

وَقَدْ هَوَتْ بِهَوَى نَفْسِي مَهَا سَبَا... فَهَلْ دَرَّتْ مُضَرٌّ مَنْ تَيَّمَتْ سَبَا

(٥) هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي ملك الحيرة من قبل الفرس في الجاهلية، وليها بعد موت أبيه، نحو سنة ٤٠٣م، وهو باني القصرين الشهيرين الخوريق: والسدير حكم ما يقارب الثلاثين سنة. (الزركلي، د.ت، ٣٥/٨).

(٦) سنمار: بناء رومي الأصل، بنى للنعمان في العصر الجاهلي (انظر: الميداني، ١٥٩/١؛ الموسوعة العربية الميسرة ١٣٨٦/٣).



والشاعر هنا استحضر هذين الأبوين لهاتين القبيلتين؛ ليوظفهما في وصف الحالة التي وصل إليها في حبه لنويرة التي تُعرض عنه، وجعلته أسير حبها، فإذا كان سبباً يسيء الأعداء ويأسرهم، فنويرة أيضاً كانت كسبباً سبت قلبي، فصار أسيرها، فماذا لو علمت مضر، قبيلتي التي أنتسب إليها، أنني صرت أسير فتاة نصرانية؟ وزعماء قبيلتي لا يستعبدون، ويربط الشاعر الفخر هنا بالعشق فخر بالقبيلة لكنه فخر أضعفه فتاة، لا قوة لها، إنما يقول: التي تملك قلبه. فصار أسير هذا الحب.

وفي القصيدة نفسها يتكرر ورود شخصية سبأ، في أحد أبيات القصيدة، لكنه هنا في المدح، وليس في الغزل، في مدح المعتصم، يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ١٢٨):
تَكْسَبَا عَصْرَهُ فَحَرًّا وَعُنْصُرُهُ... فَقَدْ عَلَا الْمَلِكُ الْأَعْلَى بِهِ سَبَأً

وسبأ هو جد قبائل اليمن إذ يفخر المعتصم بنسبه وحسبه وحق له أن يفخر، وافتخاره هنا بمكانته الرفيعة بين ملوك الأندلس - كما يقول الشاعر - ولماذا لا يفخر بمكانته هذه ويتباهى بها؟ ولماذا لا يتباهى أهل المرية به، وقد أقام لهم دولة آمنة مستقرة؟ ولماذا لا تتباهى الحاشية ورجال الحكم به، وقد وصل إلى ما وصل إليه من زعامة وملك؟ ولهذا نجد الشاعر يوظف جد القبيلة التي ينتسب إليها المعتصم؛ ليعطي له شرعية سياسية؛ ليكون ملكاً، وأهم صفات الملك أن يكون ذا نسب عربي، ومن قبيلة عربية معروفة وهي الصفة التي يبحث عنها كل شاعر في ممدوحه، وبالأخص في الأندلس، لكثرة الممالك التي تزعمها من هم من غير العرب.

المبحث الثالث: التناص الأدبي:

إنّ الأدب هو زبدة التجارب الاجتماعية، والفكرية، والثقافية، والتاريخية، فيتناقل الأديب تجارب أمته، فتنتقل التجارب من جيل إلى جيل، عبر مشاركة الأديب هذا التراث الأدبي، فتتلاقح الأجيال بالأفكار الأخرى، لتنشأ معارف ثقافية موروثية ممتدة عبر التاريخ، "لقد وجدَ الشاعر المعاصر كثيراً من ملامح تجاربه في التراث الأدبي، فاستغل ذلك في التعبير عنها بصورة فنية من خلال تسليط الأضواء على الجوانب التراثية التي تخدم الفكرة أو القضية التي يريد التعبير عنها، وتحويرها بما ينسجم مع مواقفه المعاصرة. وعلى المبدع البارِع أن يقومَ "بالتقاط الموقف الخاص الذي تعرضت له الشخصية التراثية وفي إكسابه طابعاً درامياً معبراً عن موقف جديد" (عيد، ١٩٨٧م، ص ٢٣٨).

ويعود الشاعر إلى التراث العربي، عند الحديث عند صفة الكرم والجود، وتحديدًا في قصائد المدح، ويستدعي المشهورين من كرماء العرب الذين ضرب بهم المثل، وعلى رأسهم حاتم

الطائي^(٧) الجواد المعروف ونلاحظ ذلك في القصائد التي مدح بها المعتصم أو غيره من ممدوحيه، وهو يسير على عادة الشعراء في قصيدة المدح حين يتحدثون عن صفات الممدوح، فتحدّث الشاعر عن كرم المعتصم وعطاياه، والشاعر يستدعي هذه الشخصية ليؤكد أنّ المعتصم لا يقلّ كرمه عنهم، بل تجاوزهم فيه، يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٩١):

يَا مَنْ يُضِيفُ إِلَيْهِ حَاتِمُ طِيٍّ... مَرْعَى وَلَكِنْ لَيْسَ كَالسَّغْدَانِ

والشاعر هنا يريد من استدعائه لحاتم، وما عرف عنه من كرم وجود أن يبين أنّ كرم المعتصم فاق وتجاوز كرمه والاستدعاء هنا ليس للمشابهة وتأكيدا، ولكن ليؤكد هذا التفوق والكرم الذي لا يمكن وصفه، فمن هو حاتم الطائي أمام المعتصم؟ لقد جاد الطائي بالجمال والناقة وفرسه وجاد المعتصم بما هو أثمن وأغلى وأكثر قيمةً من الجمال والناقة والفرس، لكل من قدم عليه.

ويرد اسم حاتم الطائي في قصيدة أخرى مرتبطاً بجواد من أجواد العرب في العصر (الميداني، د.ت، ١/١٨٣-١٨٤؛ الاندلسي، د.ت، ١/٢٠١) الجاهلي، هو كعب بن مامة ويبيّن أنّ المعتصم سار على مذهبهما في الكرم وإطعام الضيف ومنح الأعطيات والهدايا، وكرمه لا يتوقف لكل إنسان عفيف يترفع عن الطلب، فهو لا ينتظر الناس أن يطلبوا حاجتهم، بل يبادر بالعتاء، يقول ابن الحداد (ابن الحداد، د.ت، ص ١٦٥):

تَدِينُ يَدَاهُ دِينَ كَعْبٍ وَحَاتِمٍ... فَحْتَمُ عَلَيْهَا الدَّهْرَ وَصَلُ صِلَاتِهَا

ويستدعي الشاعر شخصية جديدة من أجواد العرب بالإضافة إلى حاتم الطائي وكعب بن مامة، وهو هَرَمُ بن سنان^(٨) ويستدعي مع هرم، كعب بن مامة -الذي ذكرناه- وتجمعهما صفة الجود والكرم، ويأتي بهما معاً في بيت واحد، يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ١١٧):

فَعَلَّ مَا قِيلَ عَنْ كَعْبٍ وَعَنْ هَرَمٍ... فَلِلْأَقْوِيلِ مُنْهَارٌ وَمُنْهَرٌ

والشاعر حين يعود إلى هاتين الشخصيتين التاريخيتين، يريد التأكيد على كرم المعتصم وعطاياه، فيخاطب الناس قائلاً: اتركوا أقاويل التاريخ والرواة عن هؤلاء الأجواد، وما وصل إلينا من أخبارهم يؤكد صحة هذه الروايات، والى أيّ درجة وصل جودهم، فالأخبار يجب أن نراها

(٧) حاتم الطائي: هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن ربيعة بن جروم بن ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيبي، من كرماء العرب وهو مضروب به المثل في الكرم وقصصه في ذلك مشهورة في كتب التراث، (الاندلسي، د.ت، ١/١٩٧).

(٨) هرم: هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، أحد أجواد العرب في العصر الجاهلي، ضرب به المثل فقيل: (أجود من هرم) (الاندلسي، د.ت، ١/٢٠٠).



بأعيننا؛ حتى تكون صحيحة من دون مبالغة. ونعابنها، مَنْ يضمن لنا أن الرواة لم يبالغوا في وصف كرم هؤلاء؟ أما كرم المعتصم فهو أمام أعيننا نراه كل يوم من دون زيادةٍ أو مبالغة. وفي قصيدة أخرى يذكر الشاعر شخصيتي هرم وكعب في مدح المعتصم أيضًا، فيمزج بين صفتي الجود والكرم من جهة، والفروسية والشجاعة في ممدوحه من جهة أخرى، ويستحضرهما في بيت واحد، يجمع فيه هاتين الصفتين، والوصف هنا في ميدان معركة قادها المعتصم، ويربط بين قوته في فتكه بالأعداء وسيفه الذي جاد كثيرًا بإسقاط القتلى ورميهم على الأرض، واليد نفسها كريمة بالعطايا والهبات يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٥١):

وَمَا اخْتَدَى الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمْ... إِلَّا وَسَيْفُكَ كَعْبُ الْجُودِ أَوْ هَرَمٌ

ويكمن جمال استحضار هاتين الشخصيتين في توظيفه لصفتين عرف بها المعتصم، الشجاعة وقوة البأس في المعركة، إذ يجود سيفه بقطع رؤوس الأعداء، ويده تجود بالمال والعطايا. ويستحضر ابن الحداد جوادًا عربيًا هو معن بن مالك بن أعصر من بني شيبان^(٩) وهو يتحدث عن الكرم عند المعتصم، لتكتمل صورة الكرم في ممدوحه حين يأتي بكل هذه الشخصيات، بل يبالغ في وصف كرم مَنْ يمدح، ويجعله أستاذًا لهم في المدح، فأين كرمهم من كرمه؟ يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ٢٩١):

شَادَ ابْنُ مَعْنٍ فِي تَحِيْبٍ مَكَارِمًا... لَيْسَتْ لِمَعْنٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ

وابن معن في الشطر الأول هو المعتصم، وتُجيب هي قبيلة المعتصم بن صمادح، الذي يمدحه الشاعر هنا والشاعر يعقد مقارنة ومفاخرة بين قبيلتين القبيلة التي ينتمي إليها المعتصم، وقبيلة معن بن مالك من بني شيبان، ويؤكد أن المعتصم أحد أحفاد هذه القبيلة أكثر كرمًا، وأكثر جودًا من شيخ القبيلة الأخرى، وأن حفيد قبيلة تجيب (المعتصم) أكرم من شيخ قبيلة بني شيبان وكرم معن الذي تنتسب إليه القبيلة تلك لا يصل إلى ما وصل إليه المعتصم من جود وكرم. ويستدعي الشاعر شخصيتين في شعره، وهما شخصيتا عمير وضابي، في مدحه للمعتصم بعد مقدمة غزلية، ثم يعقبها بحديث عن شعره مفتخرًا به، إذ لا يمدح في شعره إلا مَنْ يستحق، يقول (ابن الحداد، د.ت، ص ١٥٠):

كَأَنَّ عَلَاهُ دَوْلَةٌ أُمُويَّةٌ... وَمَا نَابَ مِنْ خَطْبِ عُمَيْرٍ وَضَابِي

والشخصيتان اللذان يستحضرهما هنا ضابي وابنه عمير ولهما قصتان قصة ضابي التي وقعت في عهد عثمان وقصة عمير وقعت في عصر الحجاج بن يوسف الثقفي. أما ضابي فهو

(٩) معن بن مالك بن أعصر والد شيبان الذي تنتسب إليه بنو شيبان (ابن حزم، د.ت، ص ٢٤٥).

ابن الحارث بن أرطاة بن قيس بن حنظلة، عاش في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وكان بذيئاً مسيئاً شريراً، سجنه عثمان لجناية ارتكبها، وبقي في السجن حتى مات سنة ٣٠ للهجرة (ابن الحداد، د.ت، ص ١٥٠)، وعندما قُتل عثمان جاء ابنه عمير، لينتقم لأبيه، فرفس برجله جسد الخليفة عثمان، وفي مدّة ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، قيل له: هذا عمير بن ضابئ الذي رفس برجله جسد الخليفة عثمان فقتله الحجاج (الاندلسي، د.ت، ٢٦٧/٣)، والشاعر يستند إلى هاتين الشخصيتين لا ليتذكر شرور هاتين الشخصيتين، وما صارا إليه بل لبيان المكانة التي وصل إليها المعتصم، ويشبّه عظمته بعظمة ملوك وخلفاء بني أمية، الذين واجهوا الكثير من الخطوب والمصائب، متمثلة بما ذكر لهم من عداوات، من أمثلتها: ضابئ وابنه عمير. ومع ذلك فقد تجاوز المعتصم هؤلاء الخلفاء في المجد والقوة وتجاوزت دولته دولة بني أمية ازدهاراً وزعامَةً سواء دولتهم في الأندلس أو دولتهم في المشرق.

الخاتمة:

استحضر الشاعر ابن الحداد الأندلسي بالمناص التألفي للشخصيات التراثية في التاريخ العربي والإسلامي والعالمي قديماً. وذلك بوساطة عودة الشاعر إلى شخصيات دينية، الأنبياء والرسول، مثل: عيسى وسليمان ويوسف وداود ونوح -عليهم السلام-، وقد استطاع الشاعر توظيف المناص (الأنبياء) في بعض الأغراض الشعرية، وتحديداً في غرض الغزل ومعاناته مع محبوبته (نويرة)، الفتاة المسيحية الراهبة التي أحبها وهام بها، وكثيراً ما كان يستحضر النبي عيسى -عليه السلام- عندما يكون الحديث عن نويرة النصرانية، لتبادله نويرة الحب، كما أحبها لأنّ المسيحية تدعو إلى المحبة والسلام.

واستحضر النبي سليمان -عليه السلام- في مدح المعتصم بن صمادح، وبيان جلاله وهيبته بين الملوك، واستدعى شخصية يوسف -عليه السلام-، وهو يحاول إظهار إشراق وجه المعتصم وجماله، الذي بالغ الشاعر في وصفه جاعلاً جمال وجهه أكثر من جمال يوسف -عليه السلام-. ووصف قوته وبأسه في الحرب والقتال وشدته في مواجهة الأعداء، باستحضار شخصية النبي داود -عليه السلام-، وما صنعه من دروع مزردة، ويشير إلى أنه ليس بحاجة إلى أن يقي نفسه من الأعداء بالدروع؛ لأنّ الأعداء لا يقفون في وجهه، وبالتالي يهربون قبل المواجهة.

واستدعى الشاعر شخصيات عربية تراثية معروفة بجودها وكرمها، مثل: حاتم الطائي، وهرم بن سنان، وكعب بن مامة؛ لبيّن أنّ المعتصم كريم، تجاوز في كرمه ما عرف العرب عن كرم هؤلاء.



إنَّ المناص التآليفي لكل التراث الديني والتاريخي والأدبي، هو شكل أو نمط من أنماط التناص في الشعر، أو النصوص الأدبية، وظفها الشاعر لخدمة إغراضه ومضامينه، وقد نجح - إلى حدٍّ بعيد- في العودة إلى التاريخ والتراث العربي والديني والإنساني ليوظف ما فيه من شخصيات وتقديمها للقارئ، بشكل يخدم النص الجديد، ويخدم المعاني والمضامين الجديدة في النص الجديد، واستطاع أن يحشد كمًّا هائلًا هذه من الشخصيات دون معاناة أو إقحام لا مبرر له وهذا يظهر عمق الثقافة الموسوعية عنده في المعارف المختلفة في التاريخ والعلوم والأدب وأيام العرب والحوادث التاريخية وأحوال العرب والعجم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إبراهيم، مصطفى وآخرون. (د.ت). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- ابن الحداد، الأندلسي، (ت: ٤٨٠هـ). (د.ت). ديوان ابن الحداد الأندلسي. تحقيق: د. يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- ابن بسام، أبو الحسن بن علي (ت: ٥٤٢هـ). (١٩٧٩م). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: د. إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت.
- ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت: ٤٥٦هـ). (د.ت). جمهرة أنساب العرب. (ط٥). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (د.ت). جمهرة اللغة. مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع. القاهرة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: ٦٣٠هـ). (د.ت). لسان العرب. دار صادر. بيروت.
- أبو حسن، محمد صبحي. (٢٠٠٥م). صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين. (ط٢). عالم الكتب الحديث. الأردن.
- أبو حسين، محمد صبحي. (٢٠٠٥م). صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين. (ط٢) عالم الكتب الحديث. الأردن.
- الاصفهاني، العماد. (١٩٧١م). خريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق: اذرتاش اذرنوش، نقحه: محمد المرزوقي وآخرون. الدار التونسية للنشر.
- الأندلسي، ابن سعيد (ت: ٦٨٥هـ). (د.ت). المغرب في حلى المغرب. تحقيق: شوقي ضيف.
- الأندلسي، أحمد بن محمد ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ). (د.ت). العقد الفريد. تحقيق: محمد سعيد العريان. دار الفكر.
- حافظ، صبري. (١٩٨٦م). التناص وإشارات العمل الأدبي. مجلة عيون المقالات. العدد ٢.
- الحمدي (ت ٤٨٨هـ). (١٩٦٦م). جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الزركلي، الخير الدين. (د.ت). الأعلام. (ط٨). دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.
- الشنتري، أبو الحسن علي بن بسام. (١٩٧١م). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. (ط١) القسم الأول. المجلد الثاني. تحقيق آذرنوش. الدار التونسية.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك. (١٩٦١م). الوافي بالوفيات. تحقيق: محمد بن إبراهيم بن عمر؛ محمد بن الحسين بن محمد. دار النشر فرانز شتايز بفيسبان.
- عباس، إحسان. (١٩٧٨م). تاريخ الأدب الأندلسي. عصر الطوائف والمرابطين. (ط٥). دار الثقافة. بيروت. لبنان.
- عيد، رجاء. (١٩٨٧م). لغة الشعر. (ط٢). منشأة المعارف. الإسكندرية.
- الغذامي، عبد الله. (د.ت). الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية. النادي الأدبي الثقافي. جدة. المملكة العربية السعودية.
- الكبيسي، طراد. (١٩٧٨م). التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر الحديث. وزارة الثقافة والفنون. بغداد.
- الماضي، شكري. (١٩٩٣م). ما بعد البنيوية حول مفهوم التناص. مجلة المعرفة السورية. العدد ٣٥٣. وزارة الثقافة.



دمشق.

الموسوعة العربية الميسرة. ط ٢، دار الجيل. بيروت. القاهرة.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٦٣٠هـ). (د.ت). مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار القلم. بيروت.

يعقوب، إميل بديع. (٢٠٠٥م). موسوعة الأدب والأدباء العرب في روائعهم " العصر الأندلسي الأول. (ط٦).

•The Holy Quran.

Abbas, Ihsan (1978 AD). History of Andalusian literature. The era of the sects and the Almoravids. (5th ed.). House of Culture. Beirut. Lebanon.

Abu Hassan, Muhammad Sobhi. (2005AD). The image of women in Andalusian literature in the era of the Taifas and Almoravids. (2nd edition). The modern world of books. Jordan.

Abu Hussein, Muhammad Sobhi. (2005AD). The image of women in Andalusian literature in the era of the sects and Almoravids. (2nd edition) The Modern World of Books. Jordan.

Al-Andalusi, Ahmed bin Muhammad bin Abd Rabbo (d: 328 AH). (N.D). Unique contract. Investigation: Muhammad Saeed Al-Erian. Dar Al-Fikr.

Al-Andalusi, Ibn Saeed (d. 685 AH). (N.D). Morocco in Moroccan jewelry. Investigation: Shawqi Deif.

Al-Ghadhami, Abdullah. (N.D). Sin and atonement from structural to anatomical. Literary and Cultural Club. grandmother. Kingdom of Saudi Arabia.

Al-Humaidi (d: 488 AH). (1966 AD). The ember quoted in mentioning the governors of Andalusia. Egyptian House for Authoring and Translation.

Al-Isfahani, Al-Imad. (1971 AD). Kharida Al-Qasr and Al-Asr newspaper. Investigation: Azartash Azernush, revised: Muhammad Al-Marzouqi and others. Tunisian Publishing House.

Al-Kubaisi, cruiser. (1978 AD). Arab heritage as a source in the theory of knowledge and creativity in modern poetry. Ministry of Culture and Arts. Baghdad.

Al-Mady, Shukri (1993 AD). Poststructuralism on the concept of intertextuality. Syrian Knowledge Magazine. Issue No. 353. Ministry of Culture. Damascus.

Al-Maidani, Abu Al-Fadl Ahmed bin Muhammad bin Ahmed bin Ibrahim (d: 630 AH). (N.D). Collection of proverbs. Achieving Mohammed Mohiuddin Abdul Hamid. Dar Al-Qalam. Beirut.

Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aibak. (1961 AD). Al-Wafi with deaths. Investigation: Muhammad bin Ibrahim bin Omar. Muhammad bin Al-Hussein bin



- Muhammad. Verlag Franz Steis Pfsbahn.
- Al-Shantarini, Abu Al-Hassan Ali bin Bassam (1971 AD). Ammunition in the virtues of the people of the island. (1st edition) First section. Volume II. Azernoush investigation. Tunisian House.
- Al-Zirkli, Al-Khair Al-Din. (N.D). Flags (8th ed.). House of knowledge for millions. Beirut. Lebanon.
- Eid, please. (1987AD). The Language of Poetry (2nd ed.). Knowledge facility. Alexandria.
- Hafez, Sabri. (1986AD). Intertextuality and references to literary work. Oyoun Magazine Articles. Issue 2.
- Ibn Al-Haddad, Al-Andalusi, (d: 480 AH). (N.D). Diwan of Ibn Al-Haddad Al-Andalusi. Investigation: Dr. Yusuf Ali Tawil. House of Scientific Books. Beirut. Lebanon.
- Ibn Bassam, Abu Al-Hasan bin Ali (d: 542 AH). (1979 AD). Ammunition in the virtues of the people of the island. Investigation: Dr. Ihsan Abbas. House of Culture. Beirut.
- Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hasan bin Duraid Al-Azdi (N.D). Language population. Al-Halabi and Partners Publishing and Distribution Foundation. Cairo.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed Al-Andalusi, (d: 456 AH). (N.D). Collection of Arab genealogies. (5th edition). Investigation: Abdul Salam Muhammad Haroun. Dar Al Maaref.
- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram, (d: 630 AH). (N.D). Arabes Tong. Dar Sader. Beirut.
- Ibrahim, Mustafa and others. (N.D). Intermediate dictionary. Arabic Language Academy. Arab Heritage Revival House. Beirut.
- The easy Arabic encyclopedia. 2nd edition, Dar Al-Jeel. Beirut. Cairo.
- Yacoub, Emil Badie. (2005AD). Encyclopedia of Arab Literature and Writers in their Masterpieces, "The First Andalusian Era" (6th edition).